التي تمثلها، فإن كان «أبو القيس» يمثل صغار الفلاحين الفلسطينيين و«أم سعد» عمال المخيم، وهما نموذجان مرتبطان بانتماء طبقي، محدّد، فإن «حامد» في رواية «ما تبقى لكم» يمثل كلّ فرد من الشعب الفلسطيني فك حصار الماضي وانطلق نحو الفعل والبحث عن مستقبل جديد. كما أنّ «العاشق» هو رمز لفداء وصمود الشعب الفلسطيني بأكمله، وكونه فلاحاً لا يحدد انتماء طبقياً بقدر ما هو عامل تأصيل لهذه الشخصية في التربية الفلسطينية.

إن البعد الرمزي الذي يعطيه غسان كنفاني لأبطاله يجعل من الصعب أن تحشر في اطار الشخصيات الواقعية النموذجية، ولا يتسنى لنا اطلاق صفة الواقعية عليها إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار ما عبر عنه غسان من ضرورة اعطاء أبعاد للشخصية، لاثرائها وبالتالي ضرورة تشبعها بالواقع في تشعبه وتعقده وبما في أحداثه الجزئية من ترابط يجعل عزلها صعباً ولو بغاية التصنيف والتوضيح. ان المجتمع يتكون من أفراد ولكنه ليس مجرّد عدد تراكمي لهم، فهو أيضاً علاقات وهياكل تحكمهم وتتجاوزهم أحياناً، رغم أنهم يخلقونها، وكلّ فرد هو في الواقع فرد ولكنه أكثر من ذلك لأنه يحمل في داخله ما يكون المجموعة ويعكس القوى المتصارعة فيها، ولذلك نجد شخصيات غسان كنفاني تحوي دائماً بعدين: بعداً مباشراً يتمثل في اللمسات الواقعية التي يحدد بها معالمها ونموها الداخلي كالسن والمهنة ومستوى التعليم والمظهر الخارجي وطريقة التعامل وحتى المزاج؛ وهو يتفنن في خلق نماذج متكاملة ويلتزم الصدق في التنسيق بين كلّ مقوماتها الفنية؛ وبعد ثان وهو الذي يربط هذه الشخصيات بخلفياتها الاجتماعية وينطقها بشواغل منطقة ما ويجعل حياتها تعكس سيرورة اتجاه فكري أو موقف معين. وهكذا تتحول الشخصيات الى قوى اجتماعية تتصارع أو الى اختيارات أيديولوجية تتباين، وهكذا تتحول الى تعبيرات فكرية تعكس رؤية الكاتب للمجتمع وفهمه للقوانين التي تسيره. وبهذا التوسع في رسم الشخصيات، يخرج غسان كنفاني عن مفهوم الواقعية التصويرية ليعطي الواقعية رؤية جدلية تجعلها تربط الأحداث بماضيها وتصّور الحاضر وتستشف توجهها في المستقبل. ولنأخذ، على سبيل المثال، مريم في «رواية ما تبقى لكم»؛ فهي في صورتها المباشرة فتاة تشردت كما تشرد غيرها من الفلسطينيين ففقدت بذلك الأمل في حياة زوجية مستقرة وهي تعيش مع أخيها الأصغر الذي لا يقدّر ما تعانيه من حرمان، فهو في شغل شاغل عنها، وقد دفعها اليأس الى ربط علاقة سرية مع رجل انتهازي لا تهمه إلّا لذّاته الشخصية.

وبعد أن حملت منه، اضطر أخوها الى أن يزوجها منه رغم كرهه له، والى أن يهاجر. وتكتشف هي بعد ذلك مدى نذالة زوجها فتقتله. وفي الرواية كثير من اللمسات التي تكمل هذه الرواية الشخصية وتثريها بذكريات وأحلام. وتذكرنا مريم، في هذه الرواية، بشخصية نفيسة في «بداية ونهاية» لنجيب محفوظ، فيما تعانيه من حرمان ويأس وعدم تفهم ممن يعيشون معها، وكذلك تشبهها في الحلّ الذي اختارته للخروج من وضعيتها وهو ربط علاقة خارج اطار الزواج، مما يزيد وضعيتها تعقداً، ولكن هذا التشابه الظاهر يخفي اختلافاً جوهرياً. ان هاتين الشخصيتين مختلفتان كلّ الاختلاف، ذلك أنّ نفيسة تمثل نموذجاً اجتماعياً يعكس أمراضاً وقيوداً تكبل الفرد، بل المرأة